الباب الخامس

obeikandl.com

obeikandl.com

البعد المسيحيّ في البكتاشية

بخلاف العلوية النصيرية بين أنطاكية وطرابلس، التي كان مغضوب عليها في زمن السلاطين، كانت العلوية البكتاشية هي الطريقة الصوفية الأكثر شيوعاً بين فيالق الجند الإنكشارية في الجيش العثماني، بل أنّ الولاء للحاج بكتاش كان شرط الانتساب إلي الإنكشارية، ولا ينفصل هذا عن التحدّر المسيحي للإنكشاريين الذين كانوا ينتزعون وهم أطفال من قراهم المسيحية في البلقان ثم يعتنقون الإسلام ويختنون، ذلك أن الحاج بكتاش، سواء في الأناضول أو البلقان، كان شخصية مبجلة لدى المسيحيين كما لدى المسلمين، ولعبت البكتاشية دوراً حيوياً في إسلام أقوام مسيحية بكاملها عبر الزمن العثماني وعند أهل الطريقة طقوس تذكر بسر الاعتراف بالمسيحية، لكن تحت عنوان مغفرة الذنوب، وتبرك بغمس الخبز بالخمر.

أكثر من ذلك، ينبهنا المؤرخ الفرنسي آلان دوسيلييه إلى أنّ سيرة ولاية نامة وخوارق الحاج وكراماته التي جعلته قديساً في أعين المسيحيين باسم القديس خارالامبوس، وظلّ مسيحيو الأناضول يعتبرونه كذلك حتى مطلع القرن العشرين، ويشاركون المسلمين في الحج إلى ضريحه أو تربته في سيناسوس، والتبرّك به.

بالتوازي، احتضن التراث الشعري البكتاشي جملة من القديسين الشعبيين المسيحيين وفي طليعتهم القديس جاورجيوس، مثلما بجّل البكتاشيّون عدو السلطنة الأول، الشاه اسماعيل الصفوي، وفاخروا بحفظهم شعره، الذي كان يقوله بالتركمانية، في حين كان خصمه اللدود، السلطان سليم الأول ياووز، يكتب الشعر، بالفارسية!.

بكداشية - علوية في تركيا اليوم

مع حبّهم لاسماعيل شاه، كباقي التركمان في الأناضول، لعب البكتاشيون ، كمشايخ طريقة أو كشعراء إلى جانب السلاطين، أو كجنود انكشاريين، دوراً أساسياً في فتوحات السلطنة وحروبها، مع الصفويين أو مع الممالك المسيحية في أوروبا.

تركيا الحديثة اهتمت على سبيل المثال برعاية مقام تربة الشاعر الصوفي البكتاشي جول بابا في بودابست، الذي رافق السلطان سليمان القانوني في فتوحاته وقد انتشرت البكتاشية في الولايات العربية من السلطنة كذلك الأمر، كما لا تزال تدل ألقاب مثل بكداش ومكداشي، وتحتفظ مصر بحصة أساسية من المعالم الأثرية للطريقة، نظراً لإقامة سيدي المغاوري البكتاشي في القاهرة تكية القصر العيني، تكية قيغوسوز على جبل المقطم...).

واذا كانت البكتاشية في ألبانيا حافظت على نفسها كطريقة صوفية بالدرجة الأولى، فان البكتاشية العلوية الأناضولية في تركيا، ضعف فيها رابط الطرق التقليديّ، ولم يعد الدده هو المرجع الفعلي لها، بقدر ما انتقل المرجع للقيادات السياسية ورؤساء الجمعيات المطالبة بحقوق العلويين الدينية والثقافية والسياسية، مثل تشريع دور عبادة خاصة بهم، الأمر الذي تحفّظ عليه رجب طيب أردوغان بشكل قوي قبل فترة، والمطالبة بحق أبنائهم في تعليم ديني مختلف في المدارس العمومية، عن التعليم الديني السني الحنفي الذي تقدّمه المدرسة العلمانية في تركيا اليوم.

تأثر دعوة اتاتورك بالبكتاشية:

أصبح النواب العلويون والبكتاشيون من كبار المساعدين لأتاتورك في المجلس ، وكان لهم دور بارز في سقوط الخلافة العثمانية والدفاع عن العلمانية بكل ما لديهم من قوة ونفوذ ووجهوا كل امكانياتهم لتنفيذ سياسة أتاتورك ، وكان لهذا الموقف من جانب البكتاشية دوراً في ميل أتاتورك للأفكار والمبادئ البكتاشية ، فضلاً عن أن أتاتورك قد ولد في مدينة سلانيك وكان للتكية البكتاشية نفوذ كبير فيها ، وقد روي أن والد مصطفى كمال علي رضا بك كان بكتاشياً ، وبسبب قرب أتاتورك من هذه الطريقة قالوا عنه ان أتاتورك منا.

وجدير بالذكر أن أتاتورك تأثر بأفكار نامق كمال الذي كان بكتاشياً و تربى في كنف جده عبد اللطيف باشا البكتاشي حيث زار معه العديد من المدن في صغره وكان نامق كمال عدواً للسلطان عبد الحميد الثاني فعاش في باريس عام ١٨٦٧ خوفاً من السلطان وأصدر جريدة الحرية ،وكان نامق كمال يعيش في المنفى مع بقية زملائه وبعذ ذلك عمل أتاتورك على اعادتهم مرة أخرى إلى تركيا وتأثر بهم كثيراً.

تطابق مبادئ الجمهورية التركية مع مبادئ البكتاشية:

احتل البكتاشيون موقع الصدارة بالنسبة للجماعات الدينية التي استعان بها أتاتورك في حرب الاستقلال وتأسيس الجمهورية التركية.

ويقول الدكتور ياشا نوري أوزتروك : ادعي كتاب ومؤرخون كثيرون أن أتاتورك كان بكتاشياً ومن هؤلاء الكتاب صابين دريكس الذي نشر كتاباً له عام ١٩٧٧ بعنوان **Islam et jeunnese en Purqvie** وهو من المؤلفين الذين يعتقدون أن أتاتورك كان بكتاشياً.

كذلك عالم الاجتماع الغربي جون كينجسلي برج الباحث في موضوعات العلويين والبكتاشيين في الأناضول يقول في كتابه متصوفة بكتاشية:

ان مبادئ الجمهورية التركية هي نفس مبادئ البكتاشية ، وعندما رأى البكتاشيون أن مبادئ الجمهورية هي نفس مبادئهم لم يروا حاجة في بقاء الطريقة ، فكلاهما واحد.

دور الفرس في التشيع والتصوف

لقد كان للفرس والجنس الإيراني دور مميز خاص في التصوف والتشيع فأئمة التصوف ورواده الأول بلا استثناء كانوا من الفرس والموالي ولم يكن منهم عربي قط وقد ارتبط التشيع قديماً باسم الفرس حتى إنه لا يكاد يذكر التشيع إلا ويقترن ذكره بذكر الفرس وقد كان لذلك أسبابه الخفية بلا شك وقد كتب الدكتور كامل الشبيبي في كتابه الصلة بين التصوف والتشيع فصلاً خاصاً بذلك حيث يقول: أثر الشعب الإيراني في التشيع والتصوف: ويهمنا في هذا المجال أن نورد رأياً لبراون رواه الباحث الإيراني المعاصر الدكتور قاسم غني مؤداه أن (الإيرانيين -بعد رضوخهم لسيف العرب إثر حروب القادسية وجلولاء وحلوان ونهاوند بذلوا استقلالهم وشوكتهم عن يد وهم صاغرون، وسواء شاءوا أم أبوا دخلوا الإسلام بحكم غريزة المحافظة، غير أن العرب الذين نظر إليهم الإيرانيون بعين الاحتقار من قديم لم يستطيعوا مع غلبتهم أن يحملوا الإيرانيين على مشاركتهم طراز التفكير والعقيدة والمنطق والآمال والمطالب الروحية، لأن التباين -شكلاً ومعنى كان عظيماً في العنصر

وطريقة المعيشة والأوضاع الاجتماعية وعلى ذلك فإن انتهاء الصراع بهزيمة إيران أوجد انفعالات روحية وتأثيرات معنوية في الإيرانيين على شكل صراع فكري ظهر في التاريخ الأدبي والمذهبي والاجتماعي والسياسي، وأثر العرب في الإسلام، وكان التشيع وكذلك التصوف من أهم ردود الفعل التي أورثها هذا الصراع الفكري) .

وقد أوضح الدكتور قاسم غني هذه الفكرة وبين جوهرها بقوله: ويجب أن نبين هنا أن رد الفعل هذا لم يأت عن عمد واختيار وإرادة على خطة مرسومة يراد بها الانتقام بل كان أكثره متأنياً بحكم الانفعال النفسي وتحت تأثير العواطف والأحاسيس الخفية التي يعرفها علم النفس، أي أن ذلك قد حدث غالباً دون أن يجد له الناس علة واقعية ودون أن يحللوه، لكن ذهنهم كان مسوقاً إلى هذا العمل بهذه الطريقة ولقد نطق إيراني معاصر في صراحة وجلاء بهذه الحقيقة واعترف بأن التصوف قد ظهر في إيران (في عصر تسلط على وطننا فيه عدو قوي، فلما لم يجد الإيرانيون قدرة على المخالفة والمبارزة سلكوا سبيل الهزيمة واتخذوا القوى الغيبية معتقداً لهم وألقوا سلاحهم في ميدان تنازع البقاء وعلى هذا فقد كان التصوف حينئذ ضرورة من الضرورات وليس اليوم كالأمس، ويجب ألا نحمل الأفكار الصوفية محمل الجد) .

لكن هذا كله لا يقدح في أن التصوف قد ظهر في سائر الأقطار الإسلامية حينئذ، لكن الواضح أيضاً أن التطور لم يخالط الزهد إلا في خراسان وعلى يد الفرس في البصرة والكوفة بل حتى في الشام حين دخلها إبراهيم بن أدهم وصحبه وينبغي أن نذكر الدور الذي قام به الفرس من إدخالهم مثلهم الدينية في التشيع الغالي الأول حين نصروا المختار، وعاضدوا حركة الغلو العجلية، وانضموا إلى حركة أبي هاشم حتى أدى بهم الأمر إلى تأليه أبي مسلم الخراساني، كما فعلوا مع أئمة الشيعة من العلويين يضاف إلى ذلك أنهم نصروا حركة عبدالله بن معاوية في فارس أيضاً وأسبغوا عليه النور الإلهي الذي سنجده في التصوف واضحاً جلياً وهذا كله يعني أن الفرس بدأوا إضافة القداسة إلى البيت النبوي باعتبارها أساساً موازياً لأسسهم السياسية والدينية السابقة من تأليههم الملوك، وقولهم بالنور الذي ينتقل من ملك إلى آخر، فثبتت الولاية لعلي بن أبي طالب على نحو مبالغ فيه، وانتقلت هذه الولاية المقدسة مع زيادات وإضافات وحواش إلى الأئمة من بعده حتى بلغ الأمر حد التأله .

وهذه الشهادات تعني في الجملة أن التصوف والتشيع عند الإيرانيين كان دائماً وسيلة إلى غاية ولم يكن عقيدة وانتحالاً خالصاً، وهذا يصل إليه الدكتور كامل الشبيبي في خلاصة بحثه حيث يقول: وقد استعان

المختار بالوالي لأول مرة في تاريخ التشيع وكان ذلك من أسباب فشل حركته، وانفضاض العرب عنه، ويجب أن نلاحظ هنا أن دور الفرس في التشيع المبكر كان مؤقتاً فقد انصرفوا من بعد المختار إلى موالاة العباسيين وعادوا إلى التشيع من جديد بعد أن نزلت بهم ضربة السفاح أولاً ثم المنصور ثم الرشيد بل وجدناهم يمنعون العلويين الخلافة حين تسلم البويهيون أزمة الحكم من العباسيين وبهذا يتبين لنا أن دور الفرس في التشيع بل في الإسلام كان مجرد وسيلة لاستعادة المجد القديم، وإلغاء التسلط العربي عن كواهلهم.

التأثير في العلويين

شارك الصوفية في الجهاد والغزو كغيرهم من الفرق الإسلامية، ومن مآثر حاجي بكتاش أنه مجاهد حارب الكفّار وجاهد في سبيل الله، دفعاً لإساءة الكفار إلى الإسلام، ولمّا أتمّ غزواته استحقّ لقب غازي والانفتاحُ على الآخرين، وقبول التعدد كما يرد في المدونة البكتاشية لا يعنيان عدم الانتصار للذات، وما تعتقده من أفكار، فقبول المذاهب والديانات الأخرى لم يمنع مؤسس البكتاشية من حمل السلاح قربة إلى الله، بل يعد هذا من جملة مناقبه.

في الهجرة حياة جديدة، وتوطيد لدعائم الدعوة، فحينما غادر بكتاش ولي خراسان، يمم وجهه شطر النجف الأشرف لزيارة ضريح الإمام عليّ

بن أبي طالب، باب مدينة العلم، وأحد أقانيم الثالوث البكتاشي الله، مُحمّد، عليّ الذي يُنظر إليه بكثير من التقديس، فهو في الأرض فارس حكيم أمير، وفي السماء مرشد يطلب منه الأولياء البكتاشيون النصح ويرشد المشايخ إلى الحقّ، ويعرّفهم بأنفسهم، ويحققون من خلاله الخلافة لله، بعد زيارة الإمام علي ذهب حاجي بكتاش إلى مكّة لأداء مناسك الحجّ، وزار مقام النبيّ الأكرم في المدينة، ثم زار المسجد الأقصى، ومن النبي الخاتم إلى الأنبياء السابقين يلتمس المدد، وكما بدأ الزيارات بعليّ انتهت بزيارة مراقد الأولياء في دمشق وحلب، ليستقر بعدها حاجي بكتاش في الأناضول، وكما توافد عليه الناس وهو في شبابه، توافدوا عليه في موطنه الجديد بسبب كراماته التي لا تنتهي، وأفعاله التي تخلقهم خلقًا جديدًا.

كان حاجي بكتاش قد قدم من خراسان إلى سيواس ثم إلى آماسيا وقيرشهر ومنها إلى قيصريه، ثم استوطن قرية صالوجه قره يوق بقيرشهر، التي طابت له مستقراً ومقاماً ونال شرف استضافة الوليّ كبير القرية آنذاك الشيخ إدريس وزوجه السيّدة فاطمة، التي ستصبح شخصية بارزة في الطريقة البكتاشية أكثر من زوجها، وبعد أن كانت عقيماً ستنجب الذكور، بفضل كرامات هذا الولي الوافد، ويمسي الأبناء علامات على الطريقة، وعلى الرغم من أن حاجي بكتاش لم يتزوج،

ستنتسب إليه هذه الذّرية أبناء وحفدة، وينظر إليه بكثير من التقدير من أبناء الطريقة.

تداخل بين صوفية البكتاشيين وشيعية العلويين

كان تنظيم البكتاشية مراتبيًا، فعلى رأس الطريقة كان البير أو ده ده الجدّ ويأتي بعده الخليفة أو البابا، والبابا هي درجة المشيخة التي يُرقى إليها الدرويش بعد قضاء فترة طويلة يكون قد حصّل خلالها علوم الشريعة والطريقة، وتبحّر في معرفة الآداب وتذوّق معاني الرموز الصوفية، واستطاع تفسير غوامضها وشرحها لإخوانه، وأخذ بيدهم إلى الطريق القويم.

والده ده هو الحائز على درجة خليفة، وهذه الدرجة لا يمنحها إلا شيخ المشايخ، ومن يحصل على هذه الدرجة الرفيعة له الحقّ في حمل الأمانات المقدّسة، ويعيّن شيخًا لإحدى التكايا، كتكية مصر أو أبدال موسى سلطان أو غيرها من التكايا.

والده ده بابا شيخ مشايخ التكية البكتاشية العامة، وينتخب من بين الخلفاء، وله حقّ الإدارة وتعيين المشايخ وترقية الباباوات إلى درجة خليفة، وله حقّ عزل المشايخ وإجراء طقوس التجريد، وهو بصفة عامة

القيّم على الطريقة، المحافظ عليها وعلى أموالها، والعامل على نشر التعاليم البكتاشية.

البكتاشية والعلوية اليوم:

في أيامنا هذه، يولي الباحثون المحدثون من الترك والمستشرقين عناية كبيرة بهذه الطريقة الصوفية، ويحاولون إحصاء مريديها والتعرّف على مذهبهم، وأفكارهم وماهيتهم الدينية، وبعضهم يرى أن هذه الطريقة البكتاشية العلوية دين غير سماوي استقى تعاليمه من الزرادشتية.

حاول أردوغان إجراء عملية جراحية سياسية على العلويين، ويتوقع أن يكون لها انعكاسات خطيرة: ففي فهم أردوغان: العلويون الذين سيقبلون الذهاب إلى المسجد هم العلويون مع عليّ أو العلويون الجيدون وبالتالي، فإنه يغلق ضمنيًّا حق العلويين الذين يتمسكون بدور العبادة الخاصة بهم وقد ظهرت نوايا أردوغان في يوم ٢٨ مايو من قبل نائب رئيس الوزراء إيمرله آيسلر، الذي قال: لا يمكننا أن نعتبر دور عبادة العلويين هي دور عبادة؛ لأننا نعتبر العلوية تابعة للإسلام وما دام العلويون يعتبرون أنفسهم مسلمين، فإن دار العبادة في الإسلام هي المسجد. وهذا الموقف يعني بالنسبة للعلويين محاولة لتسنين العلويين، ونبذ أولئك الذين سيرفضون الإذعان لذلك فقد صرّح أردوغان عام

٢٠١٣ بأنه إذا كانت العلوية تعني محبة علي رضي الله عنه، فأنا من العلويين وفي تصريحات لاحقة، قال إنّه من الواضح أنه لن يترك عليًّا رضي الله عنه للعلويين.

لكن الأمر في البداية لم يكن على هذه الصورة، إذ لم يكن رفض زعماء حزب العدالة والتنمية إلصاق صفة إسلامي بحزبهم اعتباطاً، إنما جاء نتيجة الحاجة إلى التماسك الفكري والالتزام بالبرنامج الانتخابي المعلن للناخبين، الذين يشكّلون ألوان الطيف السياسي من الإسلاميين المحافظين إلى الاشتراكيين واليساريين الاجتماعيين، والتزاماً بشعار توفير الطعام والعمل والعدالة والحرية لأبناء الشعب كافة الذين رفعوه قبل الانتخابات التي فاز فيها بالأكثرية النسبية وقد أكد عبدالله جول نائب رئيس الحزب بعد الفوز الساحق في انتخابات ٢٠٠٢ ورئيس وزراء الحكومة التركية الثامنة والخمسين أن حزب العدالة والتنمية ليس حزبًا إسلامياً وأضاف أردوغان إلى ذلك قائلاً: إنني لست أصوليًّا متطرّفًا، إنما أنا مسلم مثل بقية المسلمين في تركيا، ومؤمن بتراث الشعب التركي وهويته التاريخية، لذلك فإننا نحترم طراز حياة وأسلوب معيشة كل شخص في بلادنا وتؤكد نازلي اليجاق العضو في حزب العدالة والتنمية في حديثها لإحدى القنوات الفضائية التركية حول رئيسها أوردغان: إن أردوغان رجل مسلم في حياته الخاصة فهو يؤم الجوامع أيام الجمعة

لأداء صلاة الجماعة، لكنه إنسان ديمقراطي، ومؤمن بالأفكار الكمالية بعد التحول الكبير في سلوكه السياسي نتيجة للانقلاب الأبيض عام ١٩٩٧، لذلك صرّح النائب مرجان عن حزب العدالة والتنمية لوكالة الصحافة الفرنسية بالقول: إن الحكومة التركية المقبلة ستستمر في السياسة الخارجية مع تعديلات طفيفة وتريد في هذا الإطار تطوير علاقاتها مع دول المنطقة ومن بينها إسرائيل .

وفي انتخابات ٣ نوفمبر ٢٠٠٢، فاز حزب الشعب الجمهوري بـ١٧٨ مقعدًا من مجموع ٥٥٠ في البرلمان، بفضل مساعدة الطرق الصوفية كالبكتاشية والقلندرية وغيرها، ويقدر عددهم بحوالي ٥ ملايين نسمة.

في مايو ٢٠١٤ نظمت الطوائف العلوية التركية مظاهرات حاشدة في ميادين المدن الكبرى وفي مقدمتها إسطنبول وأنقرة وأزمير تحت شعار كفى للظلم وانعدام الضمير، أعقبها تجمع آخر أمام البرلمان للاعتراض على ما أسمته إرهاب الدولة والهجمات التي تستهدف العلويين.

وتم توجيه دعوة لكل المواطنين للاشتراك في مظاهرات احتجاج ضد حكومة العدالة والتنمية خاصة بعد مقتل أوجور كورت دون أي ذنب واتهام رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان له بالإرهاب وإثارة الشغب.

في غضون ذلك، ذكرت شبكة إن. تي. في الإخبارية أنه تم اعتقال ٤٨ مواطناً في أعقاب المظاهرات التي شهدتها مدن تركيا احتجاجاً على مقتل مواطنين ورفع المحتجون شعارات تطالب باعتقال ومحاكمة المسئولين عن مقتل مواطنيهم.

في يوليو ٢٠١٤ حاول أردوغان طمأنة الطائفة العلوية البكتاشية، فقام بدعوة ممثلي الطائفة العلوية إلى مأدبة إفطار في القصر الرئاسي، وذلك بمناسبة شهر محرم وأتي هذا بالتزامن مع اتخاذ الحكومة الإجراءات اللازمة لتسريع عملية الانفتاح على العلويين ودُعي إلى الإفطار الذي جرى في ٢٢ يوليو رئيس بيوت الجمع البروفيسور عز الدين دوجان، ورئيس وقف أهل البيت فرماني آلتون، ورئيس فيدرالية الأوقاف العلوية جمال جانبولات، ورئيس فيدرالية العلويين البكتاشيين جنكيز هورت أوجلو، ورئيس ولي الجمعية الثقافية حاجي بكتاشي مصطفى أوز جيفان.